سياسات بالمقلوب!

مثلما تُعرف الشمس بوجهها الجميل، وأشعتها الذهبية الحاملة إلى الناس الضوء والدفء والحياة، والى النباتات الغذاء والنماء والعناصر المحيية، هكذا يُعرف الإنسان الطيّب، من خلقه الكريم، ومشاعره الإنسانية النابعة من قلب نبيل، والمشعّة باسمى وأزكى معطيات الخيرات والمكرمات.

ومثل هذا الإنسان الحريص على شرف إنسانيته، والمترفّع عن المغريات، والماديات، وعن كل الزخارف والجمالات الزائلة، نادر في زماننا الذي طغت فيه أمراض الأنا على كثير من القيم الأخلاقية، التي كان يتمتع بها سلفنا الصالح ولو بدرجات، والتي لحسن الحظ، لا نزال نراها لدى ندرة من النفوس الحرة النزيهة، تريد لشعبنا الكرامة والعيش في نطاق من النظام الاجتماعي البعيد عن الفوضى وعن الطمع الشعوبي، والإستئثار بكل ما يقع تحت اليد من مال وقوت ومتاع!..

نبحث عن أصحاب النفوس الحرّة النزيهة العاملة بمنتهى الاندفاع والاخلاص، على خدمة الوطن، وتقديم الخير للمواطنين.

أين من يسهر على الأمن بعين لا تنام، وهمّة لا تفتر، ويرقب كل صغيرة وكبيرة من الشؤون المتعلقة بوزارته، وما أكثر تلك الشؤون، وأصعب رصدها والإحاطة بها؟

نريد رجالات بكل ما في الرجولة من قوة الاحتمال، ومعاني الحمية والمروءة وحب الإصلاح!

أين ذاك الذي يلبس الوزرة ويعتبر الوزارة وسيلة لتطبيق القانون، ونشر الوعي، وتوفير الحماية للجميع، لا مقعداً وثيراً في برج عاجي ناءٍ عن عيون ذوي الحاجات، وطلاب العدالة الاجتماعية الشاملة. أين ذاك الذي تراه على سجيّته السمحة حين تقابله، وتشعر انك أمام إنسان لم يغيّره المنصب الوزاري أو سواه، بل أبقاه على أصالته، وأريحيته الفطرية، ولطفه المتألق بالأدب الرفيع، وسمعته المعطرة بأريج مقطر من أزهار المكرمات، وحسبُك أن تفتح قارورة الطيب، ليتأرّج النسيم ويسكر الشميم، وينطلق اللسان إجاباً بالإنسان الحر الكريم.

لدى المسؤول الحقيقي تواضع البنفسج وجماله وشذاه، وما في خواصه من نفع وفائدة.

المجتمع في نظر المسؤول أسرة واحدة تشدّ أواصرها اللغة والتاريخ المشترك بجسّد ما في قلبه الكبير من معاني الخير والمحبة والوفاء حصراً لهذا الوطن، وهو الأب الشفيق والبطل المقدام وراعي العلم والأدب والإعلام الهادف إلى خدمة الحق والعدالة والازدهار العام.

الدولة التي تشجّع العلم والفن والأدب، تكون في طليعة الدول تقدّما وازدهاراً، والمسؤولون الذين يلتفتون إلى حملة الأقلام، ويخصّونهم بالعون والرعاية، يساهمون بأوفر قسط في توعية الشعب لا العكس، وبناء الوطن الواحد، وتذكير الغرب بأن شمس الحضارة بزغت من الشرق بالذات!

زبدة الكلام أن بعض شعبنا لا يزال يسعى لإرضاء زعمائه بدلاً من أن يكون العكس، وفي هذا ما فيه من مفارقة لا يكاد يتميّز بها سوى مجتمعنا البائس ولو بدرجات!

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه